الاستخدام السوسيولوجي للمحتوى الرقمي:قراءة نظرية من المدخل الوظيفي إلى تطورات الاستخدام

Sociological use of digital content: Reading theory from functional entrance to usage developments

براهيمي زينب*، طريف عطاء الله[2]

[1]جامعة الأغواط، مخبرسوسيولوجيا الاتصال الثقافي:القيم، التمثلات والممارسات (الجزائر)

Zb.brahimi@lagh-univ.dz

[2]جامعة الأغواط، مخبرسوسيولوجيا الاتصال الثقافي:القيم، التمثلات والممارسات (الجزائر)

a.trif@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2024/11/27 تاريخ القبول: 2025/01/20 تاريخ النشر: 2025/01/31

ملخص:

يبحث هذا المقال في المقاربات النظرية والأسس المعرفية لاستخدام المحتوى الرقمي من خلال مراجعة منهجية للمنظورات الوظيفية والسوسيولوجية، ويتتبع تطور المقاربات من النهج الوظيفي ونظرية الاستخدامات والإشباعات إلى الأطر السوسيولوجية المعاصرة، مستكشفاً كيف غيرت التقنيات الرقمية أنماط استهلاك وسائل الإعلام منذ أربعينيات القرن العشرين حتى الوقت الحاضر. يركز التحليل على الأطر النظرية الأساسية، وخاصة نموذج البناء الاجتماعي لجوسيان جوي وإطار التحليل الخماسي المستويات لبرولكس، موضحاً التحول من نماذج الجمهور السلبي إلى المشاركة النشطة للمستخدمين في البيئات الرقمية. تكشف النتائج كيف أعادت المنصات الرقمية الحديثة تشكيل العلاقات الاجتماعية وإنتاج المعرفة واستقلالية المستخدم، مع تسليط الضوء على الأهمية المتزايدة للممارسات التفاعلية والتعاونية. يسهم هذا التركيب النظري في تعميق فهمنا لاستخدام وسائل الإعلام ضمن السياقات الاجتماعية والثقافية المتطورة، مقدماً رؤى جديدة للبحوث المستقبلية حول منصات المحتوى الرقمي الناشئة وتداعياتها السوسيولوجية.

الكلمات المفتاحية:المدخل الوظيفي، الاستخدام والإشباع،الاستخدام السوسيولوجي، المحتوى الرقمي

* المؤلف المرسل

Abstract:

This article investigates the theoretical approaches and epistemological foundations of digital content usage through a systematic review of functionalist and sociological perspectives. Through theoretical analysis, the study traces the evolution from early American functionalist approaches and Uses and Gratifications theory to contemporary French-Quebec sociological frameworks, examining how digital technologies have transformed media consumption patterns from the 1940s to present. The analysis focuses on critical theoretical frameworks, particularly Jouët's social construction model and Proulx's five-level analysis framework, demonstrating the shift from passive audience paradigms to active user engagement in digital environments. The findings reveal how modern digital platforms have fundamentally reshaped social relationships, knowledge creation, and user autonomy, while highlighting the increasing importance of interactive and collaborative practices. This theoretical synthesis advances our understanding of media usage within evolving socio-cultural contexts, offering insights for future research on emerging digital content platforms and their sociological implications.

Keywords: functional entrance, use and satisfaction, sociological use, digital content

1. مقدمة:

تشهد المجتمعات الحديثة تطورا نوعياً في وسائل الاتصال التكنولوجي الذي انعكس على تغير جوانب الحياة اليومية للأفراد، وإحداث تغييرات ديناميكية في أنماط الاستخدام، مما ساهم في بروز ظواهر جديدة وتحولات اجتماعية وثقافية نتيجة التعامل مع محتواها،مما جعل الباحثين يقومون بدراسة وقياس هذا التأثير وما نتج عنه من ظواهر خلال مراحل متعاقبة، وكل مرحلة تميزت بدراسات وأبحاث تمثل رؤى معرفية تقوم على نظريات ومقاربات تهدف لتفسير علاقة الفرد والمجتمع بالوسيلة، وبالتالي تَشَكَّل مسار ابستيمولوجي يضم الآليات البحثية في توجهها النظري والمنهجي.

تميزت المرحلة الأولى قبل نهاية العقد الثالث من القرن العشرين، بوجهة نظر تؤكد أن وسائل الاتصال لها تأثير قوي ومباشر على المعلومات والاتجاهات والسلوكيات، حيث ترى هذه المقاربة أن الجماهير مهيأة دائما لاستقبال الرسائل

الاتصالية، ومع التطور السائد ظهر المدخل الوظيفي وفق باراديغم يلم بجوانب وظائف وسائل الإعلام و تلبية الاحتياجات النفسية والاجتماعية للأفراد والمجتمعات، إضافة إلى تطور دراسات الاستخدام بفعل التقدم المستمر في تكنولوجيا الاتصالات، وبظهور الإنترنت تأثر تنظيم المجتمعات الصناعية وتغيرت الممارسات الاتصالية على مستوى الأفراد والجماعات، أدت إلى ظهور أشكال جديدة من التفاعل الاجتماعي.

من خلال ما سبق وبهدف عرض تطور المراحل الدراسية وأهم المقاربات التي تأسست عليها نطرح التساؤل التالي:

- فيما تتمثل المقاربات النظرية والأصول المعرفية للمدخل الوظيفي والاستخدام السوسيولوجي للمحتوى الرقمي؟

وتندرج ضمنه الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هي الأطر المفاهيمية لكل من المدخل الوظيفي والاستخدام والإشباع والاستخدام السوسيولوجي والمحتوى الرقمي؟
- ما هي المداخل الوظيفية لوسائل الإعلام؟
- فيما تتمثل البراديغمات المؤسسة لدراسات استخدام وسائل الاتصال؟
- ما هي الأصول المعرفية لمقاربات الاستخدام والإشباع والاستخدام السوسيولوجي للمحتوى الرقمي؟

2. تحديد المفاهيم

1.2. المدخل الوظيفي:

يهتم المدخل الوظيفي أساسا بدراسة وظائف وسائل الاتصال وما يمكن أن تؤديه للجمهور، ويركز على دراسة الكيفية التي يستخدم بها الجمهور وسائل الاتصال الجماهيري، مثل أنماط القراءة والمشاهدة والاستماع وغيرها (كامل، 2011: 135)، ويقترح بدل دراسة الرسائل الإعلامية دراسة استخدامات الجمهور للوسيلة والإشباعات المحققة منها (لعياضي وآخرون، 2016: 82-88).

وعند دراسة المدخل الوظيفي لابد من التمييز بين محتوى وسائل الإعلام وخصائص الوسيلة نفسها، فهناك وظائف ترتبط بالمحتوى الذي تعرضه وسائل الإعلام، وهناك وظائف أخرى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنوع الوسيلة المستخدمة أو بظروف الاستخدام دون ارتباط قوي بالمحتوى ومع ذلك فإن الإشباعات التي تتحقق

للجمهور لا يمكن فصلها عن المضامين، فإن لكل من الوسيلة والمحتوى تأثيرا في الآخر (الحمداني، 2010: 31-33).

2.2. الاستخدام:

يشكل مفهوم الاستخدام بعض الإشكالات منها تداخل بعض المصطلحات كالممارسة والاستعمال، ويعود هذا الاختلاف لدلالة واحدة وهي وصف واستكشاف سلوك المستخدمين والظواهر الجديدة والغامضة للتكنولوجيا الجديدة (Chambat,1994:250)،ويشير قاموس روبرت لعلم الاجتماع (1999) أن مفهوم الاستخدام يعود إلى الممارسة الاجتماعية التي تجعل عملية التكرار في مدة زمنية طويلة أمرا طبيعيا في ثقافة معينة(Proulx,2005:03).ويؤكد الباحث بوخنوفة(2007: 49) أن الاستخدام يقتضي أولا الوصول إلى التقنية أو الوسيلة، بمعنى أن تكون متوفرة ماديا والتي تعمل على تشجيع الاستخدام أو تعمل على إعاقته، غير أن حاجات المستخدمين ورغباتهم وعاداتهم تصبح فيما بعد عوامل محددة في انغراس المنتج في الممارسة، حينما تصبح الاستعمالات متكررة وتندمج في ممارسات وعادات الفرد.

3.2. المحتوى الرقمي:

يشير مصطلح " المحتوى الرقمي " لمفاهيم متعددة نظرا لكونه يدمج كل وثيقة رقمية يمكن تخزينها داخل دعامة أو نقلها عبر وسيلة لنقل المعلومة على الخط، هذه المحتويات يمكن أن تكون كتابية أو سمعية بصرية منظمة داخل قاعدة المعطيات، أو غير منظمة (علوي ومسروة، 2020: 66) ويشير مصطلح "رقمي""Numerique"إلى رمز ثنائي (توالي الرقمين 0 و1)، حيث يسمح بترجمة كل أنواع المعلومات مثل النصوص والأصوات والأنغام والصور لحفظها في الذاكرة ومعالجتها واستعادتها أو نقلها (بال، 2008: 146).

3. المداخل الوظيفية لوسائل الإعلام:

يبين هذا المدخل دور وسائل الإعلام في تعزيز الروابط الاجتماعية من خلال نقل المعلومات التي تدعم مقومات المجتمع والتي حددها الباحثون كما يلي:

1.3. وظائف الإعلام في المجتمعات كما حددها هارولد لازويل(Harold Laswell)

- الإشراف والرقابة على البيئة والمحيط الاجتماعي.
- العمل على ترابط أجزاء المجتمع في الاستجابة للبيئة التي يعيش فيها .
- نقل التراث الاجتماعي والثقافي الموجود في المجتمع من جيل إلى آخر (محمود، 2003: 75)

2.3. وظائف وسائل الإعلام كما حددها دينيس ماكويل(Denis Mcquail)

وقام ماكويل بصياغة هذه الوظائف من خلال الوظائف الرئيسية التي قدمها هارولد لازويل عام 1948، وتطوير تشارلز رايت(CharlesWright)لها في عام 1960 وكذلك مجموعة الأبحاث والدراسات التي تمت بعد ذلك في هذا الإطار كما يلي:

- **الإعلام:**يقصد به الإمداد بالمعلومات الخاصة بالوقائع والأحداث التي تتم داخل المجتمع وخارجه وكذلك تحديد اتجاهات القوة الفاعلة والعلاقات بها.
- **تحقيق التماسك الاجتماعي**: وذلك من خلال الشرح والتفسير والتعليق على الأفكار والأحداث والمعلومات، ثم تدعيم الضبط الاجتماعي والمعايير الخاصة به.
- **تحقيق التواصل الاجتماعي:** وذلك من خلال التعبير عن الثقافة السائدة والكشف عن الثقافات الفرعية والثقافات النامية ودعم القيم الشائعة.
- **الترفيه:** ويتمثل في تقديم التسلية وتهيئة الراحة والقضاء على التوتر الاجتماعي.
- **التعبئة:** وتتمثل في المساهمة في الحملات الإعلامية ذات الأهداف الاجتماعيةوبصفة خاصة في الأزمات السياسية والاقتصادية والحروب.

3.3. الوظائف التي يقوم بها الفرد اتجاه وسائل الإعلام:

تناولت البحوث إضافة للوظائف الاجتماعية وظائف أخرى تحققها وسائل الإعلام اتجاه الفرد حيث يذكر الباحث "محمد عبد الحميد" اهتمام البحوث في العقود الأخيرة بالإجابة على السؤال: لماذا يستخدم الأفراد وسائل الإعلام بصفة عامة؟ أو لماذا يهتمون بوسيلة أو محتوي معين؟وما هي مظاهر الرضا التي يتوقعون أن يحصلوا عليها؟ أو الحاجات التي يتوقعون تلبيتها؟(عبد الحميد، 2004: 56-58).

تقدم هذه الأسئلة مداخل بحثية تدرس علاقة الفرد بوسائل الإعلام،عبر عنها الباحثون في شق وظائف الإعلام بأن الفرد كائن يختار من وسائل الإعلام حاجات يحددها مسبقا، وتم التفصيل في هذه الوظائف من طرف الباحث إلياهوكاتز EliahuKatz نعرضها كما يلي:

4.3. وظائف الإعلام حسب إلياهوكاتز(Eliahu Katz)

الوظائف الأربعة الأساسية التي يمكن أن تخدم فيها وسائل الإعلام الفرد وتؤثر في سلوكه وهي:

- **وظيفة المنفعة:** اتجاه الفرد إلى وسيلة معينة أو مضمون معين يتحدد في ضوء النفع العائد عليه من هذه الوسيلة، أو هذا المضمون.
- **وظيفة الدفاع عن الذات:** وتعكس هذه الوظيفة رأي الفرد في الدفاع عن الصورة التي شكلها عن نفسه ورفض ما عداها.
- **وظيفة التعبير عن القيم**: فكلما دعمت وسائل الإعلام القيم السائدة في المجتمع شعر الفرد بالرضا عن هذه الوسائل، وهذا يفسر قدرة وسائل الإعلام على دعم القيم السائدة في مقابل ضعف قدرتها على تغيير الاتجاهات السائدة.
- **الوظيفة المعرفية:** وتتمثل في حاجة الفرد إلى المعرفة التي تساعد على بناء إدراكه(الحمداني، 2010: 31-32).

4. البراديغمات المُؤسسة لدراسات الاستخدامات

1.4. مقترب الاستخدامات والإشباعات :

تناول فهم الأصول النفسية والاجتماعية والاحتياجات المترتبة عنهما، وتحليل توقعات الجمهور من وسائل الإعلام، وكشف أنماط التعرض للإعلام الذي يرجع لإشباع الاحتياجات، وما يترتب عنه من جوانب مقصودة أو غير مقصودة واستند مقترب الاستخدامات والإشباعات إلى مجموعة من الافتراضات منها:

- اعتبار الجمهور النشط الذي يستخدم وسائل الإعلام بناء على اهتماماته ودوافعه.
- توقعات الجمهور في اختيار المحتوى الذي يلبي احتياجاتهم.
- تنافس وسائل الإعلام لتلبية هذه الاحتياجات.
- ربط الأحكام القيمية بالأهمية الثقافية للإعلام أثناء اكتشاف توجهات الجمهور.

وتقوم مصادر الإشباعات الإعلامية حسب إلياهو كاتز وبلومر من خلال ثلاثة مصادر مختلفة:

- المحتوى الذي تعرضه وسائل الإعلام.
- تجربة التعرض للوسائل الإعلامية المختلفة.
- أبعاد السياق الاجتماعي الذي يقع فيه التعرض للوسائل الإعلامية (Katz et al.,1973: 512-516)

2.4. أسس نظرية الاستخدام والإشباع

- **التعرف على مظاهر الرضا والإشباع (الدوافع والحاجات):**

يصنف الخبراء مجموعة الدوافع والحاجات الفردية إلى فئات رئيسية، تتمثل في الحاجات والدوافع الأولية التي تلبي الحاجات العضوية، ثم الحاجات الثانوية التي تصبح إطارا للعديد من الدوافع الفرعية المرتبطة بأنماط العملية الإعلامية، إضافة إلى حاجات الأمن والاستقرار والتقدير والاعتراف والاهتمام الخاص، كذلك الحاجة إلى الخبرات الجديدة والمعرفة والإدراك والتسلية.

- **التعرف على مظاهر الاستخدام (العادات والأنماط):**

تعكس هذه المظاهر حدود الرضا الذي يشعر به المتلقي مع التباين في مظاهر الاستخدام بالإضافة إلى التأثيرات الخاصة بالعوامل البنائية أو التحول، كما يدخل أيضا ضمن هذا الإطار عادات التلقي وكذلك لوصف العلاقة بين أنماط الاستماع وأنماط المشاهدة أو كليهما معا، مع أنماط قراءة الصحف بغرض الاستدلال عن تأثيرات الاستماع أو المشاهدة على قراءة الصحف بصفة عامة (عبد الحميد، 2007: 254).

أظهرت هذه النظرية عملية اختيارات الجمهور النشط وهذا ما جعلها تسلك طريق مختلف عما سبقها من توجهات نظرية، وقدمت فرضياتها على هذا المبدأ.

3.4. مقترب سوسيولوجيا الاستخدام:

ويقصد بالاستخدامات الاجتماعية أنماط استخدام الأفراد أو المجموعات التي تظهر استقرارًا نسبيًا عبر فترات تاريخية طويلة ضمن المجتمعات، مثل (الطبقات والفئات والمجتمعات المحلية والحضارات) (Proulx,2005:4-5)، ويفترض النهج الاجتماعي استخدام تكنولوجيات الاتصال مثل (الهواتف والإنترنت، والألعاب عبر الإنترنت)، أنها أدوات تسمح بالتفاعل والاتصال عن بُعد.

1.3.4. أقسام استخدام البناء الاجتماعي حسب نموذج جوسيان جوي josianeJouët

يتمحور النموذج حول أربعة محاور رئيسية نلخصها فيما يلي:

القسم الأول: الأصول المعرفية للاستخدامات

يسمح لنا تيار التاريخ الاجتماعي التقني بمراقبة البناء الاجتماعي للتكنولوجيا على المدى الطويل حيث تلعب الاستخدامات دوراً مهماً في تشكيل الإطار الاجتماعي التقني، ولا يمكن بذلك تحليل الخيارات التكنولوجية خارج إطارها التاريخي، حيث أن

تكنولوجيا المعلومات تُدمج في الممارسات العائلية والمهنية الحالية ولا تأتي من العدم، بل تتأثر بالتقاليد والممارسات السابقة.

القسم الثاني- التملك :

تتضمن عملية التملك بعدًا معرفيًا وتجريبيًا ويعتمد على اكتساب المعرفة بوسائل الاتصال، وكيف يتفاوض المستخدمون مع التكنولوجيا ويتكيفون معها، ويستثمرونها بشكل كامل في اكتشاف إمكانات التكنولوجيا، بينما يكتفي الآخرون بالاستخدام الجزئي مما يسهم في بناء الهوية الشخصية والاجتماعية حيث يعكس الاستخدام الفردي والاجتماعي للتكنولوجيا تفاوت بين الفئات الاجتماعية المختلفة.

القسم الثالث- الروابط الاجتماعية:

تحديد الإطار الاجتماعي التقني الذي يدرس العلاقة المتبادلة بين تطور الجهاز التقني وأشكال التبادل الاجتماعي ووضع الأعراف الاجتماعية الإلكترونية، وبهذا تتشكل مجموعات صغيرة من الممارسين حول اهتمامات مشتركة مثل ألعاب الفيديو أو البرمجة، وتتنوع الروابط الاجتماعية عبر الإنترنت بين تفاعلات جماعية وفردية، وتؤثر على الأطر الاجتماعية التقنية.

القسم الرابع- الاستخدامات والعلاقات الاجتماعية:

تعيد التكنولوجيا تحديد الأدوار الاجتماعية وتكوين المجموعات وتنظيم الأنشطة اليومية للترفيه والخدمات والعمل، والاستخدامات المهنية بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المجال السكني المرتبط بظهور العمل المستقل، والأشكال الجديدة لتنظيم العمل (المرونة والانتقال)، يؤدي إلى تآكل الحدود بين الحيز المهني والفضاء الخاص إلى تغيير أنماط الحياة... وإعادة تنظيم مساحات المعيشة والعلاقات الشخصية بين أفراد الأسرة وقبل كل شيء إدارة جديدة للوقت (Jouët,2000:500-501).

2.3.4. نموذج تحليل- البناء الاجتماعي للاستخدامات الذي اقترحه Serge proulx

يقدم الباحث في نموذجه التفسيري للبناء الاجتماعي للاستخدامات عدة مستويات تحليلية لفهم كيفية استخدام الناس للأجهزة التقنية، إذ توفر فئات تحليلية قادرة على بناء تفسير ممارسات الاستخدام التي نلاحظها، وفيما يلي نستعرض القائمة الأولى لمستويات التحليل الخمسة:

المستوى الأول- التفاعل الحواري بين المستخدم والجهاز التقني:

يركز الباحث على تسلسل التفاعلات بين المستخدم والجهاز التقني ويتناول قيود الاستخدام التي يفرضها التصميم الصناعي للجهاز، وقد حدد الباحثون بعض هذه القيود:

اقتراح تعليمات الاستخدام، متطلبات الحظر، إدخال تدابير تقييدية، فرض معايير الممارسة الجيدة (الخطاب المصاحب)؛ وبالتالي يشارك النظام التقني في إعادة تنظيم نسيج العلاقات.

المستوى الثاني- التنسيق بين المستخدم ومصمم الجهاز:

يقترح مفهوم الاقتران بين "افتراضية المستخدم" و"ظاهرية المصمم" لفهم كيفية تنسيق ممارسات المصمم مع توقعات المستخدم، ويدرس هذا المفهوم التمثيلات التي يمتلكها المصمم عن المستخدم وكيفية تطبيقها في استخدام الجهاز، أما بالنسبة لظاهرية المصمم فإن الحدود التي يواجها المستخدم أثناء استخدامه والتي يتم تتبعها على وجه التحديد من خلال المهارة والكفاءة.

المستوى الثالث- حالة الاستخدام في سياق الممارسات:

تقع استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في سياق محدد للممارسات الاجتماعية (العمل، الترفيه، الأسرة)، وفي هذا السياق المحدد للحياة اليومية يستثمر المستخدم الجهاز التقني بمعاني ذاتية حيث أن الاستخدامات هي جزء من نظام العلاقات الاجتماعية، فمع تطور الاستخدامات الجماعية في ظل البيئة الرقمية نشهد تشكيل مجتمعات المستخدمين حول الاستخدامات أو المعاني المشتركة (المجتمعات التفسيرية، والمجتمعات الافتراضية، والمجتمعات المعرفية).

المستوى الرابع- الأبعاد السياسية والأخلاقية في تصميم الجهاز التقني وتكوين المستخدم:

إن تصميم واستخدام أي جهاز تقني يحمل قيم سياسية وأخلاقية، كما أن الإدراج النشط لتكنولوجيا الاتصالات في نسيج العلاقات يؤدي إلى إضفاء الطابع التقني على الممارسات، وهكذا يتم إدراج القيم المرتبطة بالعقلانية التقنية في أجهزة الاتصال، حيث تم تضمين العلاقات الاجتماعية في تصميم الشيء التقني ذاته، حول تكوين المستخدمين وحول الابتكار الاجتماعي التقني الموجه بنظرية شبكة الممثل.

المستوى الخامس- المحددات الاجتماعية وتاريخ الاستخدامات في مجموعة من البنى الكلية:

ترتكز الاستخدامات على مجموعة من البنى الكلية، التي يمكن ملاحظتها من خلال (التشكيلات الخطابية، والمصفوفات الثقافية، وأنظمة العلاقات الاجتماعية...) التي تشكل أشكالها وأنماطها وروتينها، إذ يرى الباحث انه من المناسب إعادة تتبع الخيط التاريخي الذي حكم تطور استخدامات محددة، وأما الاستخدامات الجديدة فهي جزء من تاريخ يتكون من الممارسات الاجتماعية والاتصالية.

5. الأصول والنشأة المعرفية لدراسات الاستخدام والإشباع والاستخدام السوسيولوجي:

1.5. الجذور الأولى:

أدى المنظور الوظيفي أربعينيات القرن العشرين إلى إدراك عواقب الفروق الفردية والتباين الاجتماعي والسلوك المرتبط بوسائل الإعلام، وكان ذلك تحولاً من النظر إلى الجمهور على أنه عنصر سلبي إلى أنه عنصر فاعل في انتقاء الرسائل والمضامين المفضلة من وسائل الإعلام، وكان ذلك كردة فعل عن مفهوم قوة وسائل الإعلام، كما في نظرية الرصاصة(Proulx,2005: 10-12)؛ وذلك بانفتاح السوسيولوجيا الوظيفية على الدراسات الاثنوغرافية، للتلقي والمشاهدة من خلال تيار الاستخدامات والإشباعات التي ظهرت في سبعينات القرن الماضي وذلك بطرح السؤال التالي : " ماذا يفعل الناس بوسائل الإعلام؟" وقد شرح الياهوكاتز أحد الوجوه البارزة في هذا التيار السوسيولوجي، كيف تم تطوير هذا المذهب ليصبح إشكالية، لقد ابتعد عن نظريات التأثير غير المباشر أو التأثير المحدود، ولاسيما النظرية التوزيعية ودراسات وضع الأجندة، حيث عمق تيار الاستخدامات والاجتماعات في ثمانينات القرن الماضي مفهومه الخاص للقراءة المتفاوض عليها، حيث يرى فيها أن المعنى والتأثيرات تولد من تفاعل النصوص والأدوار التي يضطلع بها الجمهور وأن فك الرموز يرتبط بمشاركة الجمهور في عملية الاتصال، وترتبط عملية المشاركة ذاتها بالطريقة التي تبنى بها مختلف الثقافات في دور التلقي (أرمان، 2005: 166)، وهناك مرحلتين أساسيتين مرت بها الدراسات وهي كتالي:

1.1.5. المرحلة الوصفية:

اهتمت في هذه الفترة بتقديم وصف عميق لتوجيهات الجماعات الفرعية لجمهور وسائل الإعلام فيما يتعلق باختيار الأشكال المختلفة من محتوى وسائل الاتصال، إذ يرى كل من ماكلويد وبيكر (Macleod and Baker) أن هذه الدراسة اعتمدت على تحديد نوع معين من المضمون، وتحديد قائمة الحاجات التي يشبعها هذا المضمون

لمجموعة من الناس، وقد فشلت هذه الأبحاث في الكشف عن العلاقات المشتركة بين الوظائف المتعددة لوسائل الإعلام إما بطريقة كمية أو كيفية، لذا لم ينتج عن أبحاث هذه المرحلة رصيد معرفي يوضح الصورة الفعلية للاشباعات التي تحققها وسائل الإعلام .

2.1.5. مرحلة تحديد المفاهيم:

تتميز هذه المرحلة بطبيعة توجهها الميداني وذلك بتوضيح المفاهيم الخاصة بالمتغيرات النفسية والاجتماعية، التي يفترض أن تؤدي لنماذج مختلفة من استهلاك الوسائل؛ إذ تتميز كذلك بإمكانية قياس ميول الجمهور، كما شهدت هذه المرحلة عدة دراسات، مثل دراسة لايل(Lyle)، وبركر(Berker)، وشرام(Schram)..الخ، و تعد هذه المرحلة استنباطية، إذ ساهمت في تطوير مناهج لدراسة الإشباعات وتوضيح العلاقة بين الميول النفسية والواقع الاجتماعي واستخدام وسائل الاتصال وفق دوافع وتوقعات الجمهور (الطرابيشي والسيد، 2006: 332)

2.5. الأصول المعرفية للاستخدام السوسيولوجي:

تعود أصول الاستخدامات الأولى لمفهوم الاستخدام في علم الاجتماع الإعلامي من التيار الوظيفي الأمريكي للاستخدامات والإشباعات(Proulx,2005:03)؛ وقد أكد بيير شامبات (PierreChambat) أن هذا النهج الجديد يتقاطع مع ثلاث تخصصات اجتماعية، سوسيولوجيا التقنية، وسوسيولوجيا التواصل وسوسيولوجيا الواقع المعاش،حيث تميز تطور المقاربات النظرية في ظل التكنولوجيا الرقمية، بالانتقال من التركيز على تحليل الآثار إلى تحليل الاستقبال(Chambat,2014:249).

ارتبط هذا التوجه النظري في بدايته بالسياسة الاجتماعية للاستخدامات في فرنسا وكيبيك(Proulx,2005:04-05)، حتى ظهر النموذج السائد للسيميولوجيا في الأوساط الأكاديمية، وفي عام 1981نشر كتاب (The DailyVCR) الذي طرح مفهوم الاستخدام الأولي لوسائل الإعلام، وأسهم في تأسيس علم اجتماع استخدام التلفزيون ووسائل الإعلام، بدعم من مركز دراسة الأنظمة والتقنيات المتقدم(CESTA)،وتطور هذا المجال وشجع البحث حول الابتكار الاجتماعي في استخدام التكنولوجيا، ومع تطور أساليب البحوث العلمية منذ ثمانينات القرن الماضي التي أسهمت في تشكيل علم اجتماع جديد يركز على استخدامات وسائل الاتصال، مما يمكن من تقديم قراءات دقيقة لسلوكيات الناس الفعلية مع هذه التقنيات(Proulx,2005: 04-05). أما في

التسعينيات بدأ هذا العلم مع تقنية فيدوتكس videotex ، وأبرزها محطة مينيتالMinitel، وشهدت الأبحاث بعد الجهود البحثية نتائج متزايدة حول استخدام تقنيات الاتصال المختلفة (Jouët, 2000:490) .

3.5. المقاربات المعرفية للوظيفية والاستخدام السوسيولوجي في ظل المحتوى الرقمي:

اتجهت الوظيفية في ظل المحتوى الرقمي لافتراض أن البيئة الرقمية تجذب المستخدمين للتفاعل بين بعضهم البعض، وإنشاء ومشاركة المحتوى وتبادل المعرفة والتعاون في مجتمعات وشبكات افتراضية، وتشمل التقنيات الأساسية للويب 2.0 المدونات، ومواقع الويكي، والمنصات التفاعلية؛ حيث تسهل المدونات تبادل المعلومات البسيطة، بينما تتيح المنصات التفاعلية تفاعلات متعددة في العالم الافتراضي ومثال ذلك نجد: مواقع الويكي التي تعمل على تسهيل التعاون في تأليف وتحرير المعلومات بشكل تعاوني(Vuori,2012:156-157).

أما دراسات الاستخدام السوسيولوجي لمحتوى الوسائط الرقمية فقد كشفت قدرتها على تغير تجارب الأفراد والتفاعلات مع الوسائط الاجتماعية، حيث وفرت الهواتف الذكية إمكانية التفاعل مع المحتوى الرقمي في أي وقت وأي مكان، مما أدى إلى تحويل الاتصالات الاجتماعية لتصبح أكثر آنية وتفاعلية، وبذلك يتسع الفهم التقليدي للاتصال الرقمي ليشمل عناصر جديدة من حيث المكان والزمان والتفاعل الاجتماعي.

وتناولت الدراسات كيفية تسييس الاستخدامات من خلال محتوى التكنولوجيا الرقمية،والتنسيق بين المصممين والمستخدمين عبر نماذج رقمية مختلفة تشمل الواجهات أو أنظمة التنسيق عبر الانترنت، وفي هذا السياق طرح الباحث دونالد نورمان(Donald Norman) (1991-1993)، مكونات أنظمة العناصر الرقمية ضمن ثلاثة مكونات رئيسة : الكائن المادي، النظام الداخلي، والمستخدم؛ حيث يشكل التفاعل بين هذه العناصر تحديا رئيسيا في السيطرة على النظام، ويمكن أن يختل هذا النظام إذا انفصل الكائن المادي عن نظامه الداخلي، لذا فإن التسييس يتطلب إعادة ترتيب هذه المكونات لتعزيز قدرة المستخدم على التحكم، ويمثل نموذج البرمجيات المفتوحة ظاهرة فريدة من هذا التسييس، وذلك من خلال تعزيز مشاركة المستخدمين في إنتاج المعرفة وليس فقط استهلاكها، بينما يهدف نموذج الواجهات المباشرة إلى تبسيط الآليات للمستخدمين، من خلال تقديم النموذج المقدم كمحاولة لإعادة توزيع التحكم

المعرفي بين المستخدمين والمصممين، ما يساهم في بناء مجتمعات رقمية قائمة على التعاون والمشاركة ،كما هدفت دراسات الاستخدام السوسيولوجي لدراسة التفاعل في البيئة الرقمية وتداخل البعد المعرفي مع البعد الحواري في تشكيل العلاقات بين الإنسان والآلة، وحددت لوسيا سانتايلابراغا(Lucia SantaellaBraga) هذه الأبعاد من خلال مرحلتين : تتمثل المرحلة الأولى في الوظيفة الحوارية التي تتشابه مع التواصل الشفهي، وذلك بإعادة تفعيل التبادل بين المتفاعلين بشكل ديناميكي؛ حيث يشهد المستخدم عملية مستمرة من الفهم والتواصل تشبه حوار البشر وتستند إلى التفاعل مع النظام الرقمي، وترى براغا أن هذا التفاعل يعمق الفهم الذاتي ويبرز العمليات الفكرية التي قد لا تظهر بشكل مباشر في التفاعلات التقليدية، مما يجعل التفاعل الرقمي أكثر تعقيدا(Carr and Hayes,2015:60) .

6. خاتمة

أظهرت دراسات المدخل الوظيفي والاستخدام مسارات عديدة تكشف عن أهمية وسائل الإعلام متجاوزة الدور التقليدي الذي يفسر التأثير المباشر على الفرد. فمن خلال تتبع مراحل تطور نظرية الاستخدام والإشباع تبين أن استخدام وسائل الإعلام يتم وفق أبعاد تنطلق من الاحتياجات النفسية والاجتماعية للأفراد، مما يتطلب فهماً دقيقاً لدوافع وأنماط الاستخدام مع إبراز دور وسائل الإعلام في بناء الهويات والروابط الاجتماعية، بالإضافة إلى تعميق الدراسات الحديثة لفعالية البيئة الرقمية في الكشف عن أنماط جديدة من التفاعل الاجتماعي وهذا ما يقود النظر إلى أن وسائل الإعلام أداة اجتماعية فاعلة وليست مجرد وسيلة للتواصل وفي سياق انتشار المحتوى الرقمي توجهت الدراسات الوظيفية لتشمل المواقع التفاعلية والمجتمعات الافتراضية، مما أدى لتغيير أنماط العلاقات الاجتماعية وعلاقة الفرد مع الوسيلة التي يستخدمها، إضافة للسياقات الاجتماعية والاختيارات الفردية ضمن العلاقة التي تتميز بالآنية والتفاعلية واللامكانية، مما عزز المشاركة التي ترتبط بأبعاد معرفية وسياسية واجتماعية وثقافية، وهذا ما يظهر مدى أهمية التوسع في دراسة تأثير المحتويات الرقمية على المستخدمين.

7. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- أرمان، ميشال، (2005)*تاريخ نظريات الاتصال*(ترجمة لعياضي نصر الدين، الصادق رابح)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- بال، فرنسيس، (2008)، *الميديا*(ترجمة فؤاد شاهين). دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
الحمداني، حازم، (2010)، *الإعلام الحربي والعسكري* .دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان.
- الطرابيشي، مرفت؛السيد،عبد العزيز، (2006)، *نظريات الاتصال* .دار النهضة العربية، القاهرة.
- عبد الحميد، محمد، (2004)، *نظريات الإعلام واتجاهات التأثير* .عالم الكتب، القاهرة.
- كامل، خورشيد مراد، (2011)، *الاتصال الجماهيري والإعلام* .دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.
- لعياضي، نصر الدين؛ بوكروح، مخلوف وآخرون، (2016) *التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري التموقعات الابستمولوجية والتقاطعات المعرفية* .مخبر بحث: استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية، الجزائر.
- محمود، إسماعيل حسن، (2003)، *مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير*،الدار العالمية للنشر والتوزيع، الجيزة.

الأطروحات:

- بوخنوفة، عبد الوهاب، (2007)، المدرسة التلميذ المعلم وتكنولوجيا الإعلام والاتصال - التمثل والاستخدام .أطروحة دكتوراه، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر.

المقالات:

- علوي، هند؛ مسروة، محمود، (2020)، المحتوى الرقمي العربي عبر شبكة الإنترنت: اقتراح تصميم بوابة عربية لإدارة المحتوى الرقمي .مجلة علوم المعلومات، علم الأرشيف وعلم المكتبات، الجزائر، المجلد 07، العدد 01، 62-88.

المراجع الأجنبية:

-Carr, Caleb. T. & Hayes, Rebecca, (2015), Social media: Defining, developing, and divining. *Atlantic journal of communication*, 23(1), 46-65.

-Chambat, Pierre, (1994), Usages des technologies de l'information et de la communication (TIC): évolution des problématiques,*Technologies de l'information et société*, 6(3), 249-270.

-Jouët, Josiane, (2000), Retour critique sur la sociologie des usages. *Réseaux. Communication-Technologie-Société*, 18(100), 487-521.

-Katz, E. ; Blumler, J. G. &Gurevitch, M., (1973), Uses and gratifications research. *The public opinion quarterly*, 37(4), 509-523.

-Proulx, Serge,(2005), Penser les usages des TIC aujourd'hui : enjeux, modèles, tendances. *Enjeux et usages des TIC : aspects sociaux et culturels*, 1, 7-20.

-Vuori, Mervi, (2012),Exploring uses of social media in a global corporation. *Journal of Systems and Information Technology*, 14(2), 155-170.